الترجمة، حضورها ونهضتها ودورها في العصر العباسي

د. كارين صادر(*)

كانت البيئة الثقافية من أقوى عوامل النهضة العباسيّة، إذ أخذ الخلفاء يشجّعون الحركة العلمية في شتى نواحيها، ويمدّونها بمالهم وجاههم. وقد بالغوا في إكرام الأدباء وجالسوهم، وولّوهم أحياناً المراكز العالية. ثم حذا الأمراء والوزراء حذوهم في أكبر مدن الدولة، وكانوا يتنافسون في فتح دور العلم.

وظهر في هذا الجيل ميل شديد إلى الحياة العلمية، ولا عجب في ذلك، وقد رأينا ما كان من تمازج مدنيات عدّة، وأخلاط حضارات شتى، ووعي عام أصاب الشعوب من جرّاء هذا التلاقح.

ومن اهم الثقافات التي كانت شائعة في تلك الأيام الثقافة العربية الخالصة التي تعتمد على القرآن وما يتّصل به من علوم الدين، والشعر وما يتصل به من العلوم الأدبية، كالنحو واللغة وغيرهما.

ومن الثقافات الأخرى التي عبرت على جسر الترجمة، وكان لها أثر كبير في الحياة العربية الاسلامية، نذكر:

- الثقافة اليونانية: وكانت علوم اليونان وآدابها قد وصلت الى الشرق من عهد فتوحات الإسكندر، فنشر اليونان في الشرق فلسفتهم وطبّهم وفلكهم، كما نشرها الفرس أيضا.

- والثقافة الشرقية: وهي ثقافة معقّدة، كالتي نجدها عند الفرس، والهنود، والأمم السامية، التي كانت منتشرة في العراق، فكانت نتيجة امتزاج العرب بالفرس، وبسبب انتقال الخلافة إلى بغداد، واشتغال الوزراء والكتاب الفرس بالعربية.

وكذلك اتصلت الثقافة الهندية بالدولة العباسية عن طريق التجارة والفتوحات التي شملت قسماً كبيراً من الهند، وبانضمام بعض الهنود إلى الإسلام كان منهم: شعراء، وعلماء بالعربية كأبي عطاء السندي الشاع، وابن الاعرابي. وكان الفرس القناة الثانية التي جرّت ثقافة الهند الى العرب.

وكانت هذه الثقافات المختلفة تؤلف التراث العلمي في ذلك العصر، وفيها زبدة علوم

(*) أستاذة في الجامعة اللبنانية.

الآشوريين، والبابليين، والفينيقيين، والمصريين، والهنود، والفرس، واليونان، والرومان. وكان لا بدّ للرجل المستنير الذي يعمل في إحدى مناصب الدولة إذ ذاك، ويقوم في الأمّة مقام الرجل القائد، من أن يأخذ بحظّ من هذه الثقافات جميعاً.

وأما كيفية انتشار تلك الثقافات في البلاد، فمرجعها إلى المدارس، وإلى الترجمات وإلى تشجيع الخلفاء، ونشرهم لها. ومن بين أهم السواقي التي جرت فيها الثقافات والمتنوّعة، ساقية الترجمة.

حضور الترجمة في العصر العباسي

تعدّ الترجمة واحدة من أقدم نشاطات الانسان، فقد تزامن ظهورها مع شعور الانسان بالحاجة الماسّة للتواصل، وظهرت الترجمة الشفهية قبل الترجمة الكتابية لحاجة الفرد إليها في تدبير شؤونه الاقتصادية والتجارية وغيرها، وقد اعتمد العالم القديم على مذهبين في الترجمة، يشدّد الأول منهما على أهمية الالتزام والحرفية في نقل ما يراد نقله، أما الثاني فيتيح للمترجم حريّة في التصرّف بالترجمة.

وكانت الترجمة قد بدأت من اللغات الأجنبية إلى العربية قبيل ظهور الإسلام، فكان لدى الأكاسرة ديوان خاص بالترجمة من العربية وإليها، وكان من المشتغلين فيه زيد العبادي وابنه عدي.

وإن أول ترجمة في الإسلام كانت بتشجيع من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (85 هـ) الذي درس العلوم والحكمة على يد رهبان الإسكندرية، وكانوا قد نقلوا له كتباً في صنعة الكيمياء، وكان له باع فيها.

وفي عهد الخليفة الأموي مروان بن الحكم (65 هـ)، نقل طبيب سرياني من البصرة يدعى «ماسرجويه» كنّاشاً في الطب من السريانية الى العربية، ثم كانت الخطوة التالية وهي تعريب ديوان الخراج الذي كان يُكتب في زمن الحجاج (95 هـ) بالفارسية في بلاد الرافدين، وأما في بلاد الشام فكان يكتب باليونانية، وعرّب في زمن عبد الملك بن مروان.

ونشطت حركة الترجمة في العصر العباسي، من جرّاء اتصال العرب بالأمم الأخرى وحضاراتها، ولم يكن العرب قبل العصر العبّاسي يهتمّون بالفلسفة والعلوم، ولانشغالهم بالفتوحات وبتوطيد دعائم الحكم، إلا أن اتّصالهم بالشعوب المجاورة أشعرهم بالحاجة إلى الوقوف على علومها، وحضاراتها، وأديانها.

وكان الخليفة المنصور شغوفاً بالطب وعلم النجوم، وهو أول من راسل ملك الروم طالباً منه

كتب العلم والحكمة، فأرسل إليه إقليدس في الهندسة، وبعض كتب الطبيعيات، وترجم في زمنه بعض كتب الحساب الهندية.

وحين تولّى هارون الرشيد الخلافة (170 - 193) أمر بإقامة خزانة كتب في بغداد لتجمع فيها الكتب الأجنبية المستوردة والمترجمة، ثم ما لبثت أن تحوّلت إلى دار الحكمة.

ولّما تولّى المأمون (298 هـ) اهتم بترجمة كتب الفلسفة، وخاصة كتب أرسطو، فضلاً عن فيثاغورس، وأفلاطون، وجالينوس الذي ترجم له حنين بن إسحاق أكثر من ثمانين كتاباً. ومن مترجمي ذلك الزمن فضلاً عن حنين بن إسحاق، ولده، وثابت بن قرّة، وابن البطريق، وإسكندر بن لوقا البعلبكي.

وفي القرن الثالث، قدّم المتوكل (232 - 247هـ) للمترجمين داراً بالقرب من قصره في مدينة سامراء ليكونوا تحت رعايته، وتسابق سراة القوم من عرب وعجم على اقتناء الكتب، فازدهرت مهنة الوراقة وتجارة الكتب، كما ازدهرت الترجمة من اللغات المختلفة الى العربية[1].

وقدّمت الترجمة في العصرين الثالث والرابع الهجريين خدمات جلّى للغة العربية ورفعت المستوى الثقافي والعلمي، وظهر أثر ذلك في طبقة الأطبّاء والعلماء في مختلف جوانب العلم، فكان منهم: الكندي، وجابر بن حيّان، والرازي، والبيروني، والخوارزمي، وابن الهيثم.

دور السريان في حركة الترجمة

بعد التفوّق الفارسي في عهد المنصور في العلوم السياسية، استمرت حركة السريان الثقافية في عهد الرشيد لا باللغة السريانية فقط، بل وبالعربية أيضاً، وبدأ دورهم الرسمي في منافسة الدور الفارسي في نقل العلوم الى العرب[2].

وكانت المدارس والأديرة التي تجمّع فيها هؤلاء السريان على تعدّد فرقهم واختلاف أماكنهم، قد كوّنت جسراً انتشرت عن طريقه المؤثرات الهيلينية وغيرها عند العرب، وكوّنت أسساً ارتقى عليها لاحقاً هرم التفكير العربي.

ومن أهم مواطن العلم نذكر: المدارس، والأديرة المتواجدة بجهة الشام، وما بين النهرين، والتي قاربت على الخمسين، وقد ساهمت في نقل علوم اليونان للعرب كلّ من: مدرسة نصيبين النسطورية، ومدرسة الرها السريانية، ومدرسة قنسرين اليعقوبية.

ودام اتصال السريان باليونان أكثر من عشرة قرون سيطروا خلالها على الحياة الثقافية العربية. وقد لعب السريان دوراً، وفي مقدّمتهم «حنين بن إسحاق»، في حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية، وفي حفظ الكثير من الكتب اليونانية التي ضاع أصلها، وكان اتصال السريان باليونان قد

دام عشرة قرون لانتمائهم الى الديانة نفسها.

وفضلاً عن الفرس والسريان، فقد لعب الصابئة ومدرستهم «حرّان» دوراً هاماً في الترجمة، وكانت متخصّصة - بسبب معتقداتها النجومية- في النقول الرياضية والفلكية والهندية، فروّجوا تعاليم الكلدان والبابليين من: تنجيم، وسحر، وطلسمات، وترجموا كتب أرسطو، ونقّحوا النظريات الفيثاغورية، والأفلاطونية، وكتب أقليدس وبطليموس، وغالينوس، وتخرّج من هذه المدرسة العالم «ثابت بن قرّة» وغيره.

ومن اليهود الذين ساهموا في حركة الترجمة «سهل بن بشر»، و«ماسروجيه»، وكانت الكتب تؤلّف وتترجم بالسريانية، فضلاً عن كونها لغة دينية.

وكان لهذه اللغة أيضاً دورها في حفظ الكثير من الكتب اليونانية التي ضاع أصلها، فكانت نقولها السريانية مرجعاً فريداً لها.

وفي زمن المأمون أصبحت الترجمة أكثر اتّفاقاً، وتنظيماً، وتنوّعاً، لأنّه كان يتمتّع بفطنة واطلاع على شتى العلوم. فأُرسلت جماعة من أهل العلم والمعرفة بأمر منه لانتقاء الصالح منها وجلبها، وكان من أعضاء هذه الجامعة: ابن البطريق، ويوحنا ابن ماسويه، وكان الخليفة مدفوعاً بنزعته الاعتزالية، وما تؤدي إليه من مناظرات كلاميّة.

فشجّع العلماء وأكرمهم، وأغدق عليهم رواتب خياليّة، وكان يوزّع كلّ يوم ثلاثاء جوائز تبلغ وزن الكتاب المترجم إن استحسنه ذهباً، فكان «بيت الحكمة «الذي أراده المأمون مركزاً يحتوي على كلّ علوم عصره.

وهكذا أصبحت الترجمة فرديّة ومشاريع جماعية، وما إن انتهى القرن الثالث الهجري حتى كانت أغلب الكتب اليونانية، والفارسية، والهندية، وحتى النبطية قد تُرجمت، وكان المترجمون في أغلبهم من الأطباء النصارى، والفلكيين الحرانيّين. وتواصل البحث والتأليف في القرن الرابع، وكان من أهم المترجمين فيه: متى بن يونس، وابن بطلان، وعيسى بن أبي زرعة، ومن الترجمة حصلت قفزة نحو التأليف.

ولكن ممّا يؤسف له هو أن حركة الترجمة العباسيّة لم تستغل الأدب اليوناني استغلالاً يذكر، كما استغلت العلم اليوناني والفلسفة اليونانية.

لكن مع كثرة ما نقلوه عن اليونان، لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية أو الأدبية أو الشعر مع أنهم لم يغفلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود.

رأي الجاحظ في الترجمة

كان العصر العباسي عصراً خطيراً في تطور النثر بعد أن صبّت فيه معارف كلّ الثقافات عن طريق الترجمة. وكان مرناً جزلاً، بعيداً عن التقعّر والتبسّط، واستوعب العلوم والفلسفة، فنشطت الخطابة الدينية والوعظ والقصص الدينيين، كما ظهرت المناظرات بين المتكلمين، والفقهاء، والعهود والوصايا، التي صوّر فيها أصحابها مشاعرهم، وحلّلوا فيها النفس البشرية وأهواءها وسلوكها.

وكان للجاحظ الأديب الناقد، واللغوي الامع، آراء في حركة الثقافة التي كانت نشطة في عصره، ومن أهمها حركة الترجمة التي أحياها وشجّعها الخليفة المأمون. وقد ضمّن الجاحظ كتابه «الحيوان «رأيه في الترجمة والمترجمين. والجاحظ عظيم الذكاء، قوي الملاحظة، واسع التفكير، بارعاً في كثير من علوم اللغة، والأدب، والعلوم الطبيعيّة، والعقليّة. وهو إلى هذا يحبّ اللهو، والمرح، والدعابة. وكان قليل الاهتمام فيما يتعلق بسلوكه الشخصي في الحياة.

وقد تناول الجاحظ في كتابه «الحيوان» الترجمة والترجمان، بعد ان ازدهر فنّ الترجمة في عصره، فإذ به يقول: «.... ثم قال بعض من ينصر الشعر ويحوطه ويحتجّ له: إن الترجمان لا يؤدي أبداً ما قاله الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل. وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقّها وصدقها. إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها، مثل مؤلف الكتاب وواضعه، فمتى كان رحمه الله تعالى ابن البطريق، وابن ناعمة، وابن قرّة، وابن فهريز، وابن وهيلي، وابن المقفع، مثل أرسطاطاليس؟ ! ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟ !

ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما؛ لأن كلّ واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها، وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوّة واحدة، فإن تكلّم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما.

وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات. وكلّما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشدّ على المترجم، وأجدر أن يخطئ فيه. ولن تجد البتة مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء.»

الترجمة فرع من النثر المدوّن في العصر العباسي

حضرت في هذا النوع النثري: العهود، والوصايا، والرسائل الديوانية والاخوانية، والترجمات التي صوّر فيها أصحابها مشاعرهم، وطرحوا آراءهم، وحللوا فيها النفس البشريّة، وأهواءها، وسلوكها.

وهذا النثر لم يتوطّد إلا بفضل الكاتب عبد الله بن المقفع (ت 142هـ) بعد أن تسلّم شعلة هذا الفن من عبد الحميد الكاتب الذي لقي مصرعه إثر الثورة العباسية.

وتجلّى فنّ النثر في» أدب الرسائل» في نهاية العصر الأموي، وهي مقالات طوال تتناول موضوعاً معيناً أشهرها «رسالة الصحابة» في أدب الصحبة والمعاشرة والسلوك، ولا سيّما مصاحبة السلطان، والولاة، والحكّام، والقادة، والأعوان، والبطانة... ثم ما للرعيّة والجند من حقوق يجب الوفاء بها، وما عليهم من واجبات يجب تسديدها.

فرسالة الصحابة هي بمنزلة خطاب مفتوح إلى الخليفة، ذات صبغة سياسيّة إداريّة تهتمّ بشؤون الحكم وسياسة الدولة، وهي لا تختلف عن الخطابة إلا من حيث الحجم كون الرسالة قد تحتمل الإطالة أكثر.

وما لبث ابن المقفع أن خطا خطوة أخرى في مضمار النثر الأدبي الوليد حين دبّج كتابيه الصغيرين:» الأدب الكبير»، و«الأدب الصغير»، وكانا بمنزلة جسر بين الرسالة المحمودة، والكتاب النثري الشامل، ثم كان كتاب «كليلة ودمنة» الذي نقله ابن المقفع إلى العربية من البهلوية لبنة أساسية وكبيرة في صرح النثر العربي، ومثال على هذا تمازج الحضارات، ولا سيّما بين الفارسية والعربية والهندية.

وإزاء فيض العلوم وازدهار المعارف في ضحى العصر العباسي، حفل المجتمع الإسلامي بأعداد وفيرة من العلماء، والكتّاب، والقصاصين، والوعّاظ، والمؤرّخين، والفقهاء، وعلماء الكلام، والفلاسفة، والمفسّرين، وأعلام الفكر، وأنباه التأليف.

وكان من اهم الكتب المترجمة في ذاك العصر سفر» كليلة ودمنة» الذي نقله عبد الله بن المقفع.

ترجمة ابن المقفع

أما ابن المقفع فهو كاتب مقامة في الذروة من كتّاب العربية، وصاحب الأسلوب المشرق والسهل الممتنع، ومنشىء القول الحكيم، وهو أيضاً مترجم مجموعة كبيرة من الآثار الأدبية من اللغة الفارسية، إلى اللغة العربية، ثم هو بعد ذلك، كاتب مخضرم عاش في الدولتين الأموية

والعباسيّة، وخدم في كلتيهما.

وكان كاتباً لداوود بن عمر بن هبيرة في أواخر الدولة الأمويّة، ولمّا قامت الدولة العباسية، اتصل بعيسى ابن عمّ السفاح، وأبي جعفر المنصور، وكتب له وأسلم على يديه، لكنّه اتهم مع ذلك بالشعوبية والزندقة، وهي تهمة طالت جلّ المفكرين المتحررين المعارضين في ذلك العصر.

وترك ابن المقفّع آثاراً خالدة من الأدب الرفيع ممثلة برسائله العديدة، وبكتابيه «الأدب الكبير» و«الأدب الصغير»، و«كليلة ودمنة». وقد عرف بتفانيه في صداقته، وكرم نفسه، وسخاء يده. ويذكر الجهشياري أنّه كان سخيّاً، يطعم الناس ويتّسع على كلّ من احتاج إليه، وأنه كان ينفق على وجوه أهل الكوفة، والبصرة، ما بين الخمسماية إلى الألفين كلّ شهر.

وقد قيل إن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب لما أمر بقتله بالطريقة البشعة التي أجمعت الكتب على فظاظتها (فذكر بعضهم أنه سُجِر له تنّور، وأتاه الحاجب فدقّ عنقه، ثم القاه فيه. وقيل إنه ألقي في بئر وأُطبق عليه حجر، كما قيل إنّ عنقه دقّت بعد أن قُطّع عضواً عضواً، وألقيت أعضاؤه في النار)

قال له: «والله إنك لتقتلني فتقتل بقتلي ألف نفس، ولو قتل مائة مثلك ما وفوا بواحد». ثم أنشأ يقول:

إذا ماتَ مثلي شخصٌ ما يموتُ بموته خلقٌ كثيرٌ

وأنتَ تموتُ ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبيرُ

ولعلّ حذقه ووفاءه لعيسى بن علي- وإخوته هم أعمام المنصور الذين نزل عليهم أخوهم عبد الله فاراً من بطش المنصور، بعد أن طمع في الخلافة- والصياغة المحكمة التي لا تسمح بالتأويل لكتاب الأمان الذي أجاد عبد الله كتابته، قد كانت السبب في حتفه. ويقول فيه:

«وإن أنا نلت عبد الله بن علي أو أحداً ممن أقدّمه معه بصغير من المكروه أو كبير، أو أوصلت بأحد منهم ضرراً سرّاً أو علانية... فقد حلّ لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة منّي، ولا بيعة لي على رقاب المسلمين، ولا عهد، ولا ذمّة، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتي...»: .

وهو من أوائل دعاة التفكير العقلي في الحضارة العربية الذين بثّوا الحكمة في صياغة أدبية راقية، فنهل من معارف الهند وفارس، وحاول البحث في الإنسان، وفهم ظاهره وباطنه بالعقل، وكذلك فهم الدين والدينا.

وقد مجّد ابن المقفع العقل، وأوكل إليه أمر الفضيلة والحقيقة، وحثّ على اكتساب العلم والعمل به. والمنفعة لديه تنفع وتؤذي إذا خلت من الأخلاق، وعاب الرذائل في الفرد، والمجتمع، والحُكم، وساوى بين البشر، ولم يفرق بينهم إلا بما فيهم من عقل وفضيلة[3]»

والأدب لديه هو ما يؤدّب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، والأدب هو الظرف، وحسن التناول. وهو قسم من علم الأخلاق العملي[4]»

وكان همّ ابن المقفع إصلاحي توفيقي بين السلطة والعامة، لكنّ نزعته الفارسية جعلته يتّخذ من تاريخ الفرس، ومن شرائعهم وآدابهم أساساً لإصلاح المجتمع العبّاسي، وكان يرى في حكومة الساسانيين مثلاً أعلى لتلك الحكومة.

كما كان مثالياً يتّجه في أدبه وتفكيره إلى المثل الأعلى، فكتب ما يجب أن يكون عليه أي سلطان، وما ينبغي أن يكون عليه الصديق.

دور ابن المقفع في حركة النثر عموما وفي حركة الترجمة خاصة

وكان عبد الله بن المقفع ينهج في أسلوبه نهجاً جديداً بسيطاً سهلاً، غير مزيّن ولا معقّد. فهو لم يهتم بزينة لفظٍ أو حتى بسجعة واحدة، إلا إذا جاءت رغم أنفه، أو انفلتت إلى حنايا سطوره دون أن يشعر بها، ومن ثم فقد كان صاحب الأسلوب الجديد الممتنع، الذي يخضع للمعنى العميق الأنيق خضوعاً كاملاً، مع جودة المعنى، وأشراقة الأسلوب. وقد شكل بخصائصه الاسلوبية مدرسة فنية خاصة مدرسة خاصة واصبح له ادباء يتبعون نهجه.

1- مدرسة الترسل الطبيعي:

كان رائدها عبد الله بن المقفع، زعيم الكتّاب في عصره، وأحد مخضرمي الدولتين، وقد أشار في وصاياه إلى الكتّاب، إلى طريقته الفنية في الكتابة يقول: «وإياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة، فإن ذلك هو العيّ الأكبر... عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنّب لألفاظ السفلة.»

وقال أيضاً في البلاغة: «هي التي إذا سمعها الجاهل ظنّ أنه يحسن مثلها». ولن يظن الجاهل ذلك إلا إذا رأى كلاماً مألوفاً واضح المعنى، سهل الألفاظ، لا تعقيد فيه، ولا إبهام. فإذا حاول عجز... وهذا هو السهل الممتنع، كما يقولون.»

وهذا هو المذهب الذي أخذ به نفسه أديباً، ورسم به حدود بلاغته، وهذه الخطّة التي اختطها هي التي قامت عليها بلاغة الكثيرين ممن سحروا ببيانه وجالوا في ميدانه.

1- طابعها:

قام أسلوب هذه المدرسة على الترسّل الطبيعي وعماده الإيجاز والإرسال، فلا سجع ولا ازدواج، إلا ما جاء عفواً، وإلا ما جاء في مجال الحكم والأمثال.

لقد كان رائدها يميل إلا إرسال الكلام دون تقيّد بازدواج أو توازن، فلا يخرج بذلك عن الأسلوب العام في القرن الاول. كلّ هذا بلفظ سهل وأسلوب سلس متين الربط، خال من المبالغات، وفي تقرير ذلك والتعليل له دون خيال أو سجع.

لذلك خلت أساليبه جملة من حلية الصوت وحلية التصوير. وقد تجلّت في رسائله حكمة الهند وأمثالها، وآداب الفرس ومواعظها، كما تجلّى في أسلوبه دقّة المنطق اليوناني الذي يوقظ في القارىء فكره ويحرّض لبّه.

ترجمته كتاب كليلة ودمنة:

يعدُّ كتاب «كليلة ودمنة»، الذي ترجمه عبد الله بن المقفع في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، من أوائل ما نقل إلى اللغة العربية عن الحضارة الهندية والفارسية في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد تلقفه المسلمون بلهفة كبيرة، وحظي بمكانة مرموقة بين كافة المؤلّفات على مدى العصور.

ولا زالت تتوالى طبعاته حتى يومنا، وقد أدخل في المناهج الرسمية والجامعية، ولا زالت الصفحات تحبّر في دراسته، وهو كتاب يحاكي القرّاء جميعاً من صغار وكبار، مثقفين، ومن عامة الشعب، ولا يفوتنا التنويه بذكاء المترجم ابن المقفع لاختياره الكتاب القادر على الحياة في بيئة عربية إسلامية.

وكان هذا الكتاب ولا يزال مثالاً يُحتذى به من حيث المضمون والأسلوب القصصي الشائق الذي يُنطق الحيوانات بالخبرات الحياتية والحكم الاخلاقية، وهو مجموعة من القصص المنفصلة والمرتبطة في آن، من حيث الهيكل العام.

وكلّ قصّة فيه تسلم الراية لقصة تالية، وفي كلّ قصّة تتعرض الشخصيات لمواقف درامية معقّدة، ويأتي حلّ العقد فيها باعتماد العقل والحيلة. وكلّ ذلك في إطار ملكي جذّاب.

أما شخصيات هذه القصص فخاصّة جداً، فهي من الطيور والحيوانات دون البشر، وهذا ما يفتح الآفاق أمام القارىء على عالم جديد، فيتلقّف من كلّ قصّة درساً حياتياً أخلاقياً من عالم الحيوان، ويسقطه على عالم الإنسان.

وإن ما يجعله مشوّقاً على الدوام، رغم جفاوة المادّة التعليميّة، هذا الإطار الأسلوبي غير

- -HAGEGE, C. (1982) La structure des langues, Paris, PUF, Coll. Que sais-je ? n° 2006.
- -JADIR, M. et LADMIRAL J-R. (2015) L'expérience de traduire, Paris, Editions Champion.
- -JAKOBSON, R. (1963) Essais de linguistique générale, Paris, Editions de Minuit.
- -LADMIRAL, J-R. (1979) Traduire: théorèmes pour la traduction, Paris, Payot.
- -LEDERER, M. et SELESKOVITCH, D. (1984) Interpréter pour traduire, Paris, Didier Erudition.
- -MESCHONNIC, H. (1999) Poétique du traduire, Paris, Verdier, Collection «Sciences Humaines».
- -MILLIARESSI, T. (2011) De la linguistique à la traductologie interpréter/traduire, Presses Universitaires du Septentrion.
- -MONJEAN-DECAUDIN, S. (2016) La traductologie et bien au-delà, Artois Presses Université.
- -MONTEIL, V. (1960) L'arabe moderne, Paris, Klincksieck.
- -MOUNIN, G. (1963) Les problèmes théoriques de la traduction, Paris, Gallimard.
- -RASTIER, F. (1987) Sémantique interprétative, Paris, PUF.
- -RICOEUR, P. (2004) Sur la traduction, Paris, Bayard.
- -ROMAN, A. (2011) Grammaire systématique de la langue arabe, Paris, L'Harmattan.
- -SCARPA, F. (2010) La traduction spécialisée: Une approche professionnelle à l'enseignement de la traduction, trad. et adap. Marco A. Fiola, Ottawa, University of Ottawa Press.
- -SILVESTRE DE SACY, A. (1904) Grammaire arabe, 3ème éd. revue par MACHUEL, L., Tunis, Société anonyme de l'Imprimerie rapide, 2 vol.
- -WRIGHT, W. (1896-1898) A Grammar of the Arabic Language, Cambridge, 3ème éd., 2 vol.

التقليـدي، المختـرق دومـاً بحـوارات الحيوانـات الناطقـة مجـازاً، والتـي يحمـل كلّ حيـوان منهـا صفـة بشـرية مـا، فالأسـد رمـز للقـوّة، والحيّـة رمـز للحكمـة، والطلـب رمـز للصديـق الوفـي، والنمـر رمـز للوزيـر، والثعلـب رمـز للشـخص الماكـر، والحمامـة رمـز للانسـان الطيّـب، ... وقـد صـبَّ هـذا المضمـون فـي لغـة سـهلة سلسـة ورشـيقة، ومخترقـة بالحـوارات، وملوّنـة بالفكاهـة.

ومـن أهـم مـا تضمّنـه هـذا السـفر هـو الحكـم والأمثـال الأخلاقيـة المعتقّـة، والمسـتخلصة مـن آراء الفلاسـفة، ومـن تجـارب الشـعوب القديمـة التـي تتكـرر إحداثياتهـا فـي كلّ مـكان وزمـان، فالكتـاب يمجّـد صفـات أخلاقيـة منهـا: الكـرم، والأمانـة، والوفـاء، والصراحـة، والشـجاعة، والعفـة الـخ... ويديـن الرذائـل بـكلّ مبرراتهـا.

أمّـا المقدمـات الأربـع، فأولاهـا مقدّمـة: علـي ابـن الشـاه الفارسـي، وفيهـا يذكـر الدافـع وراء تأليـف الفيلسـوف الهنـدي القديـم «بيدبـا «كتـاب «كليلـة ودمنـة» لــ «دبشـليم» ملـك الهنـد. وتحكـي المقدّمة الثانيـة رحلـة الحكيـم الفارسـي «برزيـه» إلـى بـلاد الهنـد مـن قبـل كسـرى، ملـك الفـرس، لمحاولـة اصطحـاب الكتـاب، ونقلـه إلـى اللغـة الفارسـية.

والمقدّمـة الثالثـة بقلـم ابـن المقفـع، وفيهـا يظهـر المترجـم أهميـة الكتـاب التـي دفعتـه إلـى ترجمتـه. أمـا المقدمـة الرابعـة، فتـروي رحلـة إحضـار برزويـه، الحكيـم الفارسـي مـن الهنـد، وترجمـه الـى اللغـة الفارسـية، وقـد كتبهـا «بزرجمهـر»، وزيـر كسـرى بنفسـه، تحقيقـاً لرغبـة برزويـه، فـي أن يخلـد ا سـمه، بوضـع ترجمـة حياتـه فـي مقدّمـة هـذا الكتـاب النفيـس.

الحواشي

(1) الموسوعة العربية، الهيئة، 319/1.

(2) الترجمة ونظرياتها، مجموعة من الأساتذة، بيت الحكمة، قرطاج، 1989، ص 173.

(3) عقلانية ابن المقفع، محي الدين حمدي، تونس، 1991، ص 17.

(4) قراءة في ادب ابن المقفع، ا لطاهر الهمامي، ص 11.